معاذ الألوسي يعرض في بيروت :

وجوه الفاجعة

بيروت ــ «الموقف العربي» :

«وجوه» الفنان العراقي معاذ الألوسي ، التي يعرضها في بيروت ، (في صالة «٥٠ × ٧٠») ، كثيفة إلى أقصى حد ، ومنفردة لشدة غنى معانيها ، وغير مفهومة تقريباً لشدة تعقيدها . إنها واضحة تماماً ، ومرتبة في التشويش وغائصة في العمق ، ولاهثة بالقلق الذي لا يمكن للمشاهد أن يتحمله أحياناً .

أول ما يطالعك في هذه الوجوه ، هو الحزن والرصانة المأساوية . إنها وجوه تمثل إنسان الفاجعة ، الذي يرفعه الحدث إلى بطل أو شهيد أو ضحية . إن هذه الوجوه تستولي علينا منذ البدء . فالوجه الإنساني ، الذي يصوره الألوسي ، هو هذا المخلوق الساقط والراضخ والمتبدّل . لكنه يظل من جنس «السادة» . وهو أيضاً الإنسان المقاوم مع شيء من البسالة واليأس .

الألوسي يرسم بريشة منطلقة . وهو يرهق المرء حيث متابعته . فرسومه تشتبك في غليان غزير من الألوان والصور والمشاعر والانفعالات والأفكار . يرسم حساسية الارتعاش . والمشهد الأشمل والأسخى والأكثر اضطراباً . فالوجه الإنساني ، في معرضه ترجّه أصداء الداخل وانتفاضاته كأن وسواساً يطارده ويلعنه . وحين نقرأ في تقاطيع هذا الوجه المتوتر ، نقرأ ارتعاشات الكيان . الرسم معه يدخل في لعبة الانتماء ، ويشكل دعوة إلينا لكي نلتزم هذا الارتياب ، الذي تبثه في نفوسنا مشاهدة هذا المتحف من البؤس . لكن هذا المأساوي ، الذي يعيش في قلب العمل ، ليس تشاؤماً ، إنه معيش عبر كفاح ، لكن هذا الكفاح لا يحقق للمشاهد تفاؤلاً ، بل أمل ينبعث من أعماق الفاجعة الداخلية . الألوسي يرسم الوجه المتجسد بالزمن . حيث بوسع الإنسان أن يؤسس مصيره على مدلول .

والفن بهذا المعنى يعطينا الصورة ، التي نستدعيها بغموض أكثر مما هو يعبّر عنا . وفن الألوسي ليس فناً مدجّناً . إنه يأتي دائماً من حرية داخلية ، إن لم يكن من تمرد . والوجه الإنساني الذي يرسمه الألوسي يتتبع «لعبة الأهواء» ضد الوحش الداخلي ، والأبالسة التي تؤرقه . وضد كابوس المجهول إنه بمعنى ما ، حين يركز على الوجه ، إنما يبحث عمّا يتجاوز الوجه الإنساني ، ليؤكد الإنسان الأساسي . هذه القدرة على إعادة النظر في الإنسان ، تبدو جلية عند الألوسي ، قدرة مغلقة على تركيبها الخاص وعلى ثقافتها . تصل إلينا بقيمتها العليا وبالوجه البشري ، الذي استثارته . لكنه وجه مشوّش وغير نقي ، مشحون ، ولا شك ، بإرادات بشرية ، وأيضاً بإخفاقات وحتميات ، حتى يبدو لنا وكأن الإنسان فقد ثقله . يترك الألوسي لهذه الندوب الإنسانية أن تعيش «بقوة وشرف ، أن يكون المرء إنساناً» . لكن هذا الوجه مراراً ما يفرّ من ذاته ، ليتحوّل إلى وجه حيوان . أشكال كثيرة لفكرة واحدة ، يخضعها الفنان دائماً لإضافة توسّعها . أو لإيقاع يعمّقها.. ويأتي حضور الألوسي من خلال النزاع والقلق . يأتي من هذا الارتعاش اللصيق باللحم والدم ، ليمتلئ بالتمزّق ، وبهذا النزاع الذي لا يهدأ . الرسم هنا يحمل بين جنباته الاتهام والوعي في آن معاً . إنه الامتلاء المفقود ، الذي لا ننساه إلاّ من خلال وعينا ، وأيضاً من خلال مطاردتنا القلقة له . هكذا يرسم الألوسي التساؤلات ، التي لا جواب لها ، والتي تصدم في ذاتها الأصداء . عالم خيالي ، أسطوري معناه مضمر . عالم أصوات وألوان ، لا نفسره إلاّ بعد أن نقرّبه منا .

نسأل : ما هو هذا الوجه الذي يرسمه الألوسي ؟ ما هو هذا البعد الذي نراه يرتسم بصورة مجوّفة (عناصر هذا التبديل المتلاحم للشكل) ، حيث ينقص في الصورة شيء ما . إنها الرؤية «الخرافية» لواقع تجاوز الخرافة . لهذا تبدو وجوه الألوسي منفجرة ومفتوحة ومجوّفة . إنها وجوه تتساوى في الفاجعة وفي الضياع ، هكذا يأتي الألوسي ليرسم المنطقة المضطربة في الإنسان ــ الوجوه ــ ٤٠ لوحة تحاور الظلال ، وتنطق بالمعنى الأسمى ، الذي يحمله الفنان في روحه . الألوسي يجيد رسم الصراخ .

الخلفية والوجه

في تقديمه للفنان ، يكتب المخرج المسرحي فؤاد نعيم : «تأتي عوامل الألوسي التشكيلية الثلاثة ، أي المساحة ، الخلفية والوجه ، والمادة ، في ترابط عضوي لافت ، قائم على أساس تفكيك معالم البناء التصويري التقليدي ، ولكن من دون الوقوع في التجريد ، وكأنَّ الخطوط انبثقت من فعل انفجار داخلي للشكل . فالخلفية والوجه موحّدان في تشويهات مأساوية متداخلة وشبه متحركة . تفلت تكاوين الوجه منفردة ، ثم تغيب من جديد في خلفية اللوحة ، التي تتقدم بدورها لتحتل العينين ثم الفم ثم الجبين . ويرسم الألوسي على مساحة مطلية بالرمل ونخالة الخشب ، فتبدو اللوحة ، وكأنها امتداد لطبيعة تقع خارجها على حائط الغرفة أو المدينة أو في الوطن المعذّب المشوه.. . □□

ح . ن

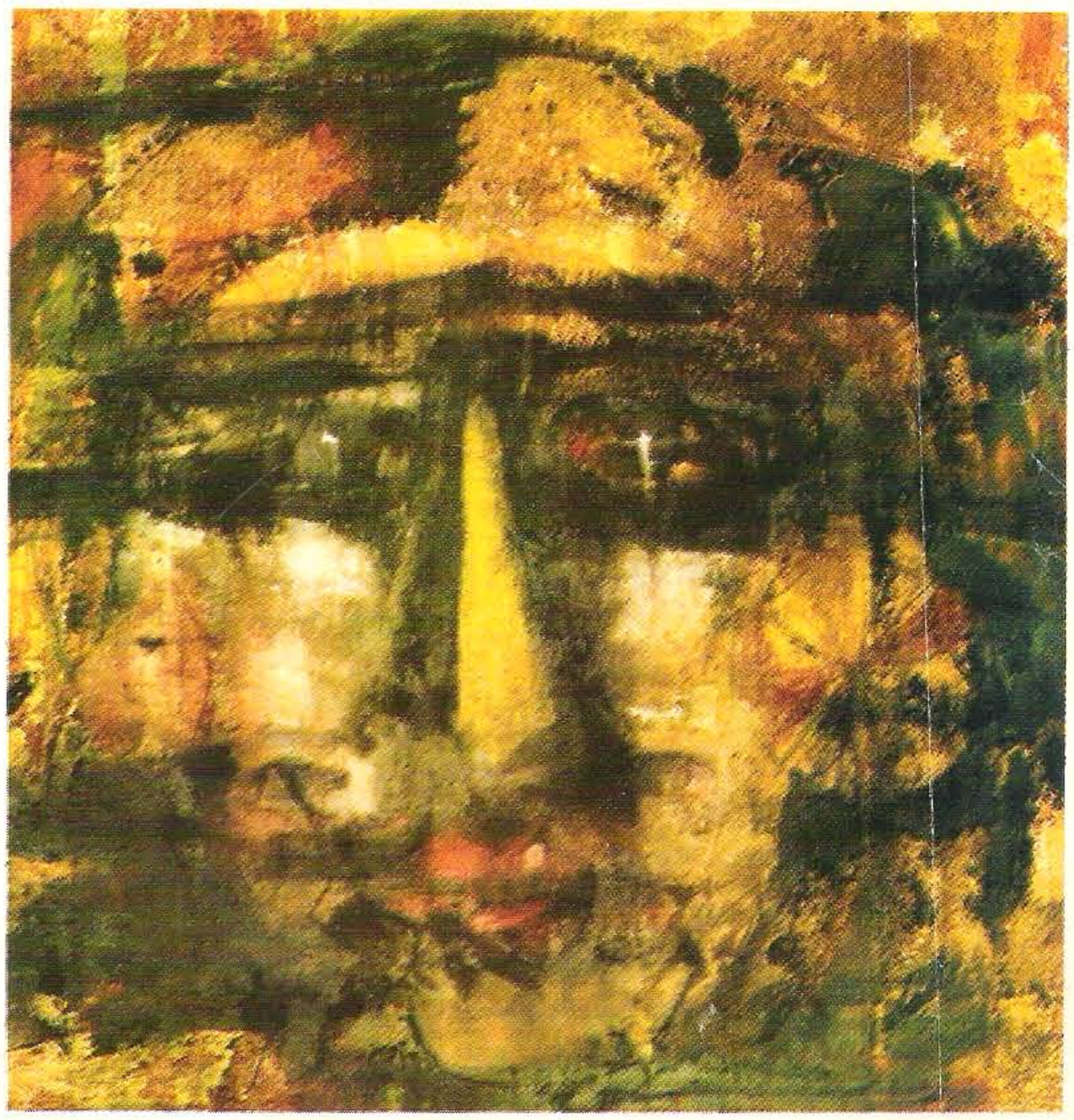

وجه من أعمال الألوسي

هو

ولد معاذ الألوسي في بغداد عام ١٩٣٨ ، درس الهندسة المعمارية في أنقرة (تركيا) وفن العمارة في المناطق الاستوائية في مدرسة رابطة المعماريين البريطانيين في لندن .

مارس فن العمارة في الوطن العربي ، منذ العام ١٩٦١ ، وعاش متنقلاً بين بغداد وفرانكفورت وبيروت وأثينا وليماسول في قبرص ، حيث يقيم منذ فترة .

حاضر في العمارة عموماً والعمارة العربية والإسلامية بشكل خاص ، في معهد التكنولوجيا العالي في بغداد ، وأشرف على مشاريع تخرج في الدراسات العليا وتخطيط المدن منذ العام ١٩٨٢ .

عضو الهيئة العليا العراقية للحفاظ على التراث حتى العام ١٩٨٧ . وعضو هيئة تحرير مجلة «عمارة» العراقية منذ العام ١٩٨٧ . كتب بحوثاً في البيوت العراقية القديمة والعمارة العراقية عامة و«اللغة النقدية الموحدة» و«المكان والبلاغة الصورية في العمارة» .

صدر عنه كتاب «يوميات بصرية لمعمار عربي» (١٩٨٣) .

شارك في المعارض التالية : أثينا عام ١٩٧٨ غاليري «بولي بلانو» ، بغداد ١٩٨٥ معرض جماعي غاليري أورفلي . بغداد ١٩٨٧ معرض جماعي غاليري أورفلي أيضاً . وله مجموعة دائمة في غاليري «غريب» ــ بغداد .